الشهادة في فكر الإمام الخميني قدس سره

في ما يلي مقتطفات من الكلمات النورانية للامام الخميني قدس سره بحق سادة قافلة الوجود، الشهداء الأعزاء الذين بذلوا أرواحهم في سبيل عزة الأمة الاسلامية، وفي هذه الكلمات بيان لمقام هؤلاء الشهداء وسمو مكانتهم في كل من عالمي البرزخ و الآخرة وقد عني بجمع هذه الكلمات وتقديمها في هذا السياق مركز الامام الخميني قدس سره في بيروت.

فضل الشهيد

«نحن والكتّاب والخطباء والبُلغاء؛ إذا أردنا إحصاء قيمة وأجر عمل الشهداء والمجاهدين في سبيل الله وتضحياتهم وسِعة نتائج شهادتهم، لابدّ من أن نعترف بالعجز، فما بالنا إذا أردنا إحصاء المراتب المعنويّة والمسائل الإنسانيّة والإلهيّة المرتبطة بالشهادة، هنالك العجز والتواني بلا ريب».

أحب قطرة إلى الله

عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «ما من قطرة أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها العبد إلّا الله عزّ وجلّ». قطرة الدماء تلك ليست كباقي القطرات، إنها التوحيد الحقيقي الذي نطق به لسان العمل مع كلّ ما يتفرّع عنه، إنها تكبيرة الإحرام العمليّة التي يرفع فيها المؤمن يده تعبيراً عن نفض يديه من كلّ شيء، من الدنيا وما فيها من مال وجاه وفِتَن، ويتوجّه إلى الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾الأنعام:١٦٢. وقد ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «فوق كلّ ذي برٍّ برٌّ حتى يُقتل الرجل في سبيل الله». يقول الإمام الخميني قدس سره: «لا يمكن للألفاظ والتعابير وصف أولئك الذين هاجروا من دار الطبيعة المظلمة نحو الله تعالى ورسوله الأعظم وتشرّفوا بساحة قدسه تعالى». «إنهم النفوس المطمئنّة الذين يخاطب كلاً منها ربهُّا تعالى، بقوله: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾الفجر:٢٨ هنا البحث عن العشق و لا يمكن القلم ترسيمه».

لا تقولوا أمواتاً

في الوقت الذي نجد فيه أنّ الموت حقّ، وأنه أمر طبيعي لكلّ الناس، وليس نقصاً، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾الزمر:٣٠، رغم ذلك كله نجده سبحانه وتعالى يأمرنا بالتأدّب أمام عظمة الشهداء ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾البقرة:١٥٤. هذا التأدّب الذي أشار إليه الإمام الخميني قدس سره حيث يقول في بعضها: «كيف يتمكن إنسان قاصر مثلي من أن يصف الشهداء العظام الذين قال الله تعالى في حقهم﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾آل عمران: ١٦٩». ويقول أيضاً: «كلّ ما للدنيا فانٍ وكلّ ما لله يبقى، وهؤلاء الشهداء أحياء عند ربهّم يُرزقون: لقد نالوا الرزق المعنويّ الأبديّ لدى ربهم لأنهم قدّموا كلّ ما وهبه الله إليهم وسلّموا إليه الأمانة. ولقد قبلهم الله تبارك وتعالى ويقبل الآخرين، وأما نحن فلنأسف على أنفسنا إذ لم نكن معهم لنفوز معهم. إنهم سبقونا ووصلوا إلى السعادة، ونحن بقينا في الوحل ولم ندرك القافلة لنسير في هذا المسير».

لقاء المحبوب

يقول الإمام الخميني قدس سره: «هنيئاً لهؤلاء الشهداء ما نالوه من لذة الأُنس، ومجاورة الأنبياء العظام، والأولياء الكرام، وشهداء صدر الإسلام، وأكثر من ذلك، هنيئاً لهم بلوغهم نعمة الله التي هي رضوان من الله أكبر».

* «إنهم اتصلوا بعشقهم بالله العلي الكبير، بالمعشوق، ووصلوا إليه ونحن ما زلنا في منعطف أحد الأزقة». ويشرح لنا الإمام الخميني قدس سره كيف يمكن للشهادة أن تختصر الطريق وتصل بالشهيد إلى لقاء الله تعالى، فيقول في إحدى كلماته: «لربما كان السرّ في ذلك أنّ الحُجب التي في ما بيننا وبين الله تعالى وتجليّاته، تنتهي كلها إلى الإنسان نفسه، الإنسان هو الحجاب الأكبر وكلّ الحُجب الظلمانيّة أو الحُجب النوريّة تنتهي إلى الحجاب الذي هو الإنسان بذاته، فنحن الحجاب بين ذواتنا وبين وجه الله، فإذا أزال أحد هذا الحجاب في سبيل الله وانكسر الحجاب بفضل التضحية بحياته، فإنه يكون قد كسر جميع الحُجُب مثل حجاب الشخصيّة وحجاب الإنيّة، نعم ينكسر هذا الحجاب بالجهاد والدفاع في سبيل الله وفي سبيل بلاد الله والعقيدة الإلهيّة».

الشهيد في الدنيا: فخر وعزٌّ

إن الحياة تحكي كل يوم على مسمعنا كيف يقتحم الشهيد القلوب، ويحصل على ذلك العزّ العظيم والاستثنائي فيها، والفخر الشامخ

الذي يناله عوائلهم ومجتمعهم رغم كلّ الجراح. وهذا ما أشار إليه الإمام الخميني قدس سره عندما قال عن العزّ: «الشهادة عزّ أبدي»، «كانت الشهادة فخراً للأولياء وهي فخر لنا أيضاً»، «إنّ الإستشهاد في سبيل الله فخر لنا جميعاً».

الشهيد في البرزخ

من المَواطن الصعبة التي تنتظر الإنسان سؤال القبر، أو كما تُعبّر عنه الروايات «فتنة القبر» حيث يأتي الملكان الشديدان ليسألا الإنسان عن ربه ودينه..

قد يتصوّر البعض أنّ الجواب سهل، فما أسهل أن تقول «الله ربي والإسلام ديني...». ولكن الحقيقة على خلاف ذلك، لأن عليه أن يجيب بلسان الصدق، حيث لا خداع ولا كذب في هذا اليوم العصيب. والصادق تطابق أقواله أعماله، لذلك سيكون الجواب صعباً جداً! هل كان محور حياته الله تعالى، هل كان خطّه في هذه الدنيا ما رسمه الإسلام والحكم الشرعي؟ أم أن محور حياته كان الدنيا والأهواء ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ.. ﴾الفرقان:٤٣. في هذا اليوم الذي يقف فيه الإنسان خائفاً ذليلاً ينتظر من يعينه ويُنطق لسان الصدق فيه، أمام هول عذاب القبر الذي بدأ يقرع بابه، يكون فم الشهيد الصادق جراحه المفتوحة التي تشهد له بالعبوديّة والإخلاص!

> **هنيئاً لهؤلاء الشهداء ما نالوه من لذة الأُنس، ومجاورة الأنبياء العظام، والأولياء الكرام، وشهداء صدر الإسلام، وأكثر من ذلك، هنيئاً لهم بلوغهم نعمة الله التي هي رضوان من الله أكبر**

ويشير الإمام الخمينيقدس سره إلى هذه الجراح والقبر في كلماته حيث يقول في إحداها: «إن قبور الشهداء وأجساد المعوقين وأبدانهم هي لسان ناطق يلهج بعظمة أرواحهم الخالدة».

هذا الفم الذي لا يحتاج إلى النطق أصلاً، لأن الملائكة تستحي من سؤال الشهيد! نعم إنها تستحي حتى من سؤاله! فعن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: «من لقي العدو فصبر حتى يُقتل أو يغلب لم يفتن في قبره».

ولما سُئل عن ذلك قال صلى الله عليه وآله : «كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة».

الشهيد في الحساب

الحساب هو ذلك الموقف الصعب الذي يقف فيه الإنسان ليُسأل عن كلّ كبيرة وصغيرة﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ الزلزلة:٧-٨ وهو من الأيام العصيبة والطويلة والشاقّة حتى أنّ البعض يقول فيه: ﴿..يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ النبأ:٤٠ في هذا اليوم - التشخص في الأبصار، وترى الناس سكارى، وتذهل كلّ مرضعة عما أرضعت، وتضع كلّ ذات حمل حملها- هناك أشخاصٌ استثنائيّون لهم وضعهم الخاص في كل شيء، لا يمسّهم من هذا اليوم سوء ولا تعب! إنهم الشهداء، فهم الذين تُذلّل دماؤهم الصعاب، ويمرّون من دون حساب! فهنيئاً لهم!

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قُتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئاً من سيئاته**». كثير من المؤمنين ممن يغفر الله تعالى ذنوبه، ولكن المغفرة تكون بعد السؤال عن تلك الذنوب، وبعد الوقوف والخوف والتعرّض لأهوال ذلك اليوم، أما الشهيد فقد أفادت هذه الرواية أنه ليس فقط يغفر له ذنبه، بل هو لا يُسأل عنها ولا يقف ذلك الموقف الصعب،«لم يعرّفه الله شيئاً من سيئاته»!.

وفي ذلك اليوم هناك الكثير ممن يتمنّى الرجوع إلى الدنيا لعلّه يصلح ما أفسد ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾المؤمنون:٩٩-١٠٠. والشهيد أيضاً يحب الرجوع ولكن لا ليصلح ما أفسد بل ليكرّر عمله ويجدّد شهادته! عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله :«ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، فإنّه يتمنى أن يرجع فيُقتل عشر مرّات، لما يرى من الكرامة». فأيّ كرامة تلك التي خبّأها الله تعالى للشهيد يا ترى؟!.

ويشير الإمام الخميني قدس سره إلى حقيقة أهم من ذلك كلّه، وهي أن الشهيد منشأ فخر النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله ومباهاته يوم الحساب! حيث يقول قدّس سرّه: «الثورة ملأى من الشهداء الحسينيين. ونحن واثقون بأنّ الرسول صلى الله عليه وآله يباهي بتضحيات هؤلاء الأعزاء في الجبهة، وبشهداء المحراب والمنبر وشهداء صفوف الجماعة والمساجد والمستشفيات. فمن الأحسن أن نضفي باستشهاد أولاد الإسلام والذريّة الطاهرة على أمجاد الرسول العظيم يوم عرض الأعمال».

مقام الشهيد في الجنة

يقول الإمام الخميني قدّس سرّه: «هل يمكن بالاستعانة بالقلم واللسان توضيح التشرّف أمام الله وضيافة المقام المقدّس الربوبيّ؟ ألم يكن هذا المقام هو مقام ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾الفجر:٢٩-٣٠. الذي انطبق حسب الحديث الشريف على سيد المظلومين والشهداء عليه السلام؟ هل هذه الجنّة هي تلك التي يُقتل لأجلها المؤمنون؟ وهل هذا التشرّف والارتزاق عند الرب من المفاهيم البشريّة أم أنه سرّ إليه خارج عن حيطة أفكار البشر؟ إلهي: ما هذه السعادة العظمى التي وَفقت لها خواصّ عبادك وحرمتنا منها؟». وهكذا نجد أنّ الشهادة نور إلهيّ يرافق الشهيد في كلّ مراحل مسيرته الإنسانيّة، فهنيئاً له في الحياة وبعد الموت وفي الآخرة!

الثورة الحسينية
والتفسيرات المتعددة

آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي *

ثورة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة ذات أبعاد وجوانب عديدة، في جميع معاني البطولة والفداء والقيم الرسالية التي يستطيع الإنسان أن يستخلص منها، دروس القيم الإنسانية والرسالية، وجميع المعاني الخالدة والسامية التي بشّرت بها الرسالات الربانية.

ما هي الدوافع للثورة الحسينية؟ وماذا كان يستهدف الإمام الحسين عليه السلام من خلال عمليته هذه من الناحية الإجتماعية؟

ما هي عملية التغيير الإجتماعي التي كان يريدها ويهدف إلى تحقيقها؟ ما هي الدوافع التي كانت موجودة لديه.

وما هي العلل الغائية، باصطلاح الفلاسفة، التي جعلته يتحرّك هذه الحركة العظيمة الخالدة، وينهض بهذه الثورة المتميّزة بخصائص جعلتها ثورة فريدة لا نظير لها في تاريخ الثورات والحركات والعمليات التغييرية الإجتماعية؟ واللافت أن حركات الأنبياء واوصياء الأنبياء لا توجد من بينها حركة إجتماعية تشابه العملية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، إنها عملية فريدة في نفسها ومختصة بخصائصها التي توجد في غيرها.

دوافع الثورة

التفسيرات التي تطرح عادة في هذا الجانب، وتبيّن دوافع الحركة الحسينية ، بالإمكان تصنيفها إلى صنفين:

الصنف الأول: التفسيرات التي قُدِمت من جانب بعض المستشرقين، ومن بعض المسلمين أيضاً، وبعض الحكّام انفسهم زمن الإمام عليه السلام وبعده، وهي تفسيرات اصطلح عليها بالتفسيرات الباطلة التي لا تنسجم مع طبيعة معتقدنا وتصوراتنا عن الإمام الحسين عليه السلام، وهي تفسيرات نشأت إما من أغراض أو أمراض، ومثّلت جزءاً من الأدوار التي يقوم بها الحكّام المنحرفون، وتقوم بها السلطة من أجل مسخ هذه الثورة المباركة والحد من عطاءاتها وآثارها على الأمة.

نجد بذور هذه التحليلات منذ زمن الحكّام الأمويين، وقد نرى أنّ بعض الباحثين المتأخرين تأثروا بتلك الكلمات التي وجدوها ومبثوثة في بعض التواريخ، فحاولوا أن يستندوا إليها ويعتمدوا عليها.

آية الله السيد محمود الهاشمي الشاهرودي

قسم آخر من هذه التفسيرات الباطلة قد يكون ناتجاً عن بعد أصحابها عن مدرسة الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، وهم لا يعرفون حقيقة الأئمة ومعنى الإمامة، ومن الطبيعي أن يخطر في ذهن هؤلاء تفسير من هذه التفاسير. وهنا نستطيع أن نشير إلى تفسيرين مشهورين في هذه القائمة، ربما يجدهما الإنسان في بعض الكتب التاريخية، وبعض الدراسات الإستشراقية.

التفسير الأول: الدافع القبلي والعشائري

وهو تفسير يقوم على أساس قبلي وعشائري، فقد فُسِّرت قضية الحسين عليه السلام، في بعض كتب التاريخ والإستشراق، على أساس أنها تمثل حلقة من حلقات تاريخ صراع قبلي من قبيلتين هما: بنو هاشم وبنو أمية، والذي بدأ منذ زمن هاشم وأمية نفسيهما، وصولاً إلى زمن ما بعد الحسين عليه السلام.

ويحاول هؤلاء تفسير القضية على أساس انها حلقة في سلسلة هذا الصراع الممتد بين القبيلتين، فقد كانتا تتصارعان على الوجاهة والزعامة في مجتمع مكة والحجاز، وعلى البيت الحرام وبقية الإمتيازات التي كانت موجودة آنذاك، ثم وبعد انتصار الإسلام وانتقال السلطة والوجاهة والزعامة والنفوذ الإجتماعي إلى بني

* رئيس السلطة القضائية سابقاً، واحد ابرز الفقهاء في إيران

هاشم انطلاقاً من كون الرسول نفسه منهم، واندحار بني امية، حاولت تلك القبيلة أن تعيد الإمتيازات التي حازها بنو هاشم، فدخلت الإسلام مُكرهة وسعت من الداخل -وبأساليب ثقافية- إلى مصارعة ضرّتها الأخرى، محاولة الإستيلاء على الحكم من طريق معاوية بن أبي سفيان، لتأخذ من جديد الحكم والنفوذ والسيطرة على المجتمع العربي آنذاك.

وقد حاول أصحاب هذا التفسير الإستشهاد بمجموعة من الأشعار والقصائد المأثورة، والتي أنشدها بعض الشعراء، أمثال الأخطل وغيره، من شعراء السلاطين، في تصوير هذا الصراع، وكذلك بعض الأشعار التي ذكرها بعض السلاطين والحكّام الجاهلين انفسهم كأشعار يزيد مثلاً، ومثل هذه الشواهد، مما هو مبثوث في كتب التاريخ هنا وهناك، كانت تعبّر بالنسبة لهؤلاء عن مدعمّات تسوّغ التفسير القبلي للصراع.

ويعزز هذا التفسير أن مجتمع المسلمين والعرب – رغم مجيء الإسلام - كان يسوده النظام القبلي، وكان مشايخ العرب وشيوخ القبائل يمثلون الطبقة الحاكمة على المجتمع العربي آنذاك، وهذا النظام القبلي والعشائري لم تتم إذابته مطلقاً حتى بعد مجيء الإسلام وتأكيده على القيم الأيديولوجية الخاصة، بل بقيت هذه العشائر واعرافها وأمزجتها وطبائعها ذات دور بالغ في تسيير الحركة الإجتماعية والسياسية، وكان الحكام يحركون هذه العشائر عبر رؤسائها. فمعاوية، مثلاً، كان يستميل عشائر مصر واليمن وغيرها، وكان يحاول استغلال هذه الأنظمة العشائرية التي كانت لا تزال باقية في نفوس الناس، ليستفيد منها في تثبيت حكمه والوصول إلى أغراضه واهدافه، فكان يميز بين العشائر في العطاءات والهبات، ويقرب هذه العشيرة ويبعد تلك.

إذن فالمجتمع، بحسب الحقيقة، لم يخرج عن كونه مجتمعاً عشائرياً وقبلياً، يحكمه نظام العشيرة ومنطقها، ووفقاً لذلك فمن المنطقي أن يبقى هناك أثر لهذه الروح القبلية الموجودة بين العشيرتين ...

وقفة مع التفسير القبلي

هذا التفسير لا يمكن القبول به بأي وجه، فهو ينبني على قاعدة ترفض الإيمان، وتعدّ منطلقات الحسين عليه السلام والأئمة عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وآله عشائرية من هذا النوع، وهذا أمر يرجع إلى عدم الإيمان بنبوّة الرسول وصدقه والأئمة في ما كانوا يفصحون عنه ويبيّنونه من رسالة ومن مفاهيم ومن قيم، ترفض بشدة مثل هذه المقولات والتحليلات وتشجبها بقوة ...

إذن فمن الزاوية العقدية يتنافى هذا التفسير مع أصل العقيدة الإسلامية، فضلاً عن العقيدة الخاصة في حق اهل البيت عليهم السلام الذين طهّرهم الله وأذهب عنهم الرجس، الذي من معانيه ان تكون الدوافع عشائرية قبليّة (جاهلية).

هذا من الناحية العقدية. أما من الناحية التاريخية الواقعية، فعندما يراجع الإنسان التاريخ يرى ان فرص الموافقة على هذا التفسير ضيقة، حتى لو قطعنا النظر عن الجانب العقدي والديني للمسألة. فملاحظة التاريخ الإسلامي ودراسة وقائعه دراسةً علمية موضوعيةً، تكشف للإنسان الموضوعي العلمي، - وبأقل التفاتة- ان هذا الصراع لا يمكن أن يكون صراعاً بين قبيلتين تكون دوافعه الحقيقة إحساسات عشائرية أو قبلية أو شيئاً من هذا القبيل، كيف ذلك والنبي صلى الله عليه وآله - بحسب تاريخه- كان أول من عارض هذه الفكرة، وطبّقها في حق نفسه وفي وضعه الخارجي ومجتمعه، حيث شجب جميع هذه الاتظمة الجاهلية، وجميع تلك التصورات القبلية وركز خلافها، وعمّقه في النفوس.

أما قضيّة الحسين عليه السلام، فهي نفسها تملك شواهد من هذا النوع. فلو كان عليه السلام في صدد القيام بمشروع عشائري قبلي لكان الأجدر به النهوض بعشيرته وبين أهل منطقته في الحجاز، لا استنهاض جماعة من الغرباء البعيدين عنه، حيث لك تكن الكوفة ولا البصرة موطناً عشائرياً له، فلّو كانت المشاعر العشائرية والقبلية هي الدوافع لهذه الثورة لكان ينبغي أن تنطلق هذه الثورة من مهد تلك العشيرة وسواعد أبنائها.

والحال، أن القضية لم تكن كذلك، فلا الحركة بدأت من موطن تلك العشيرة ولا المتحركين بهذه الحركة كانوا من أبناء هذه العشيرة، بل أن أكثر أصحابه فيها والذين قتلوا معه في كربلاء لم يكونوا من بين هاشم، لا مسلم بن عوسجة، ولا حبيب بن مظاهر، ولا زهير بن القين ... كما أن الذين دعوا الحسين عليه السلام إلى الثورة، وأرسلوا له الكتب والرسل يطلبون منه المجيء إلى العراق، لم يكونوا من الهاشميين، بل كتبها موالون للإمام الحسين عليه السلام ومحبون له، دفعتهم إلى الإستنجاد به والبيعة له، ودعوته إلى الكوفة، وعقيدتهم به.

إذن منطلق المسألة ودافعها كان عقدياً وأيديولوجياً، لا قبلياً وعشائرياً.

فهذا التفسير مرفوض عقدياً، مرفوض علمياً من خلال مراجعة واقع التاريخ الذي وقع منذ انتشار الإسلام وإقامة الحكم الإسلامي على يد النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وإلى ثورة الحسين عليه السلام. فلا تساعد على قبوله طبيعة الأشخاص الذين كانوا مع الحسين عليه السلام ورافقوه وأيدوه ونصروه، ولا طبيعة الحركة نفسها ولا اتجاهها. كما لا تساعد عليه تصريحات الإمام الحسين عليه السلام نفسه، والتي شرح فيها أسباب خروجه؛ إذ أكّد على طلب الإصلاح في الأمة

لا النصرة للعشيرة والأقارب، وهذا هدف رسالي مبدئي وليس هدفاً قبلياً عشائرياً.

إن هذا التفسير هو من تضليلات السلطة الحاكمة نفسها، بعد ان هُزّت بعملية الإمام الحسين عليه السلام وتزعزعت أركانها وكذلك السلاطين والحكّام الذين أتوا بعد قضية كربلاء، كانوا يجدون ان قضية الحسين عليه السلام لا تزال تمتلك ضمير الأمة ووجدانها، ولا تزال حيّة في النفوس، فوجدوا انفسهم مضطرين لتقديم تفسير لها يسوّغون من خلاله بعض أعمالهم ويغطون الجانب الحقيقي، جانب الإنحراف العقدي أو الرسالي الموجود لديهم، كي لا تقول الأمة: إن الحسين عليه السلام عندما خرج على هؤلاء كانوا لا يستحقون الخلافة، وهؤلاء ليسوا على مستوى ان يحكموا المسلمين، من أجل أن يبعدوا أذهان الناس عن طبيعة دوافع الثورة الحسينية لحرفها ناحيةً اخرى، ولذلك اتوا بهذا التفسير الذي يضع الثورة الحسينية في إطار قبلي، ومن ثم القول: إنّه لا فرق أحكم هذا ام ذاك ... فهم أولاد عم، وهذا معناه أن هذه الحركة العظيمة لم تكن لأجل مقاومة الفساد الواقع في الأرض.

ما نظنّه هو أن هذا التفسير منبعه السلطة الجائرة التي كان قد أثار عليها الحسين عليه السلام.

التفسير الثاني: الدوافع الشخصية والمزاجية

وهو تفسير موجود في بعض الكتب حيث يحلل الظاهرة على أنها مزاج شخصي، فالحسين عليه السلام كان أبي الضيم، كان له مزاج خاص، مثلاً، وفي صرامته يشبه أباه، لا يهدأ له حال لظليمة تقع في العالم، وهو ذو روح ثورية، وهذه المواصفات النفسية والروحية هي التي دعته للثورة في وجه يزيد.

يحاول هذا التفسير أن يقدم الإمام الحسين عليه السلام بوصفه صاحب مزاج لا يقر – بأي وجه من الوجوه- للظلم، ولا يستطيع ان يهادن ولو للحظة، فكما لم يهادن أبوه عليه السلام معاوية ولو للحظة، بأن يبقيه في الحكم، ثم بعد اخذ الإعتراف منه بخلافته يقصيه، كما اقترح ذلك عليه طلحة والزبير حينما قالا له: إنه ليس هناك من داعٍ – ومنذ اللحظة الأولى- لعزل جميع ولاة عثمان بمن فيهم معاوية، فماذا يضرّك لو تبقيه الآن على ما كان عليه، والإبقاء هو اهون من التأسيس والتنصيب، دع الوضع على ما كان عليه، وخذ من هؤلاء البيعة والإعتراف لك، ثم بعد ذلك لا يمكنهم نقض البيعة، ولا يستطيع بعدها معاوية رفع قميص عثمان، لخداع الناس وتضليلهم، ومحاربة الإمام عليه السلام كما فعل في صفين.

لكن الإمام لم يقبل، منذ اللحظة الأولى، انطلاقاً من الصرامة والحدية في منهاجه ومزاجه، وقد ورث ذلك الإمام الحسين عليه السلام منه، ولم يرثه الإمام الحسن عليه السلام، فهذا صالح معاوية، وذاك لم يحاول قط، لأن روحه كانت روحاً ثورية خاصة.

إن هذا التفسير هو الآخر لا يمكن الموافقة عليه ؛ وذلك للإعتبارات التالية:

أولاً: لأنه أيضاً مع العقيدة التي نعتقد بها؛ فنحن نعتقد بان الأئمة، في مجال العمل الإجتماعي والرسالي، لا فرق بينهم:

«الحسن والحسين سبطان من هذه الأمة وإمامان إن قاما أو قعدا»، من ناحية ما يرجع إلى العمل الإجتماعي، نعم، قد يكون هناك فروق جسدية أو خاصة، إلاّ أن الصفات التي ترجع إلى الجانب القيادي والجانب الإجتماعي والرسالي لا يختلفون فيما بينهم، فجميعهم نور واحد،وجميعهم على المستوى المطلوب من الإنطلاق من الموقف والمسؤولية والوظيفة الشرعية، من دون أي تأثير بمزاج أو بيئة أو حالة م نالقضايا الطارئة، وطبقاً لهذا المعتقد الذي نعتقد به، لا يمكن تفسير قضية الإمام الحسين عليه السلام على أنها قضية نابعة من مزاج، وروح ثورية خاصة، أو من إباء خاص كان يمتلكه، ولم يمتلكه إمام آخر. فما يمتلكه الإمام الحسين عليه السلام كان يمتله الإمام الحسن عليه السلام في هذه المواصفات الراسالية والعمل الراسالي والإجتماعي لكل منهما.

ثانياً: عندما نراجع التاريخ نحكم أيضاً برفض هذا التفسير، فنحن نعلم أن الإمام الحسين عليه السلام عاش مع الإمام الحسن عليه السلام في أيّام حكم معاوية عشر سنين ولم يثُر، مع إنه دُعي إلى الثورة، وجاءته بعض الكتب أو الرسل من العراق، فقد جاءه سليمان بن صرد الخزاعي، وطلب منه الخروج ولم يخرج، والتزم بالمنهج نفسه الذي كان قد وضعه الإمام الحسن عليه السلام.

وفي زمن الإمام الحسن عليه السلام أيضاً طرحت عليه فكرة الثورة (بعدما صالح الحسن) من قبل بعض المتحمّسين من شيعة اهل البيت، كانوا يئسوا من الإمام الحسن عليه السلام ولم يدركوا خلفية هذا الصلح الذي لم يكن اقل أهمية وخطورة من ثورة الإمام الحسين عليه السلام نفسها، فتوجهوا إلى الإمام الحسين عليه السلام طالبين منه القيام بالدور مع وجود الإمام الحسن عليه السلام، ليأتي إلى العراق، لكنه عليه السلام دفعهم، وصحح الموقف الذي وقفه أخوه الحسن عليه السلام،وهو الامر الذي يدل على أنه كان مشاركاً لأخيه في نظرته للأمور، وفي تقييمه للصلح.

وعليه فلم تكن القضية قضية مزاج أو طبع خاص ...

هذان التفسيران هما أبرز التفسيرات التي نرفضها رفضاً عقدياً من جهة، وتاريخياً من جهة أخرى، وهما تفسيران مدسوسان، في أغلب الظن، لتحقيق أغراض سياسية معينة.